ذابت مشاعري في نفسي

حلمي صابر . ربيع الأول ١٤٤٥هـ



لماذا بلداننا لا تأوينا

لماذا أخاف في بلدي
لم أخافُ من بلدي
أخبرني ما الذي اقترفته ؟
تريدني أن أسكر وأرقص !
أم تريدني أن أصمت ؟
أم تريدني أن أكفر وألحد ؟!
أتريدني أن أدفع مالا، مقابلَ ألا تحبسني
وألا بكذبكَ ستخبرُ عني
لن ادفع
ولن ألهو معك ولن أغني ولن أرقص

أخبرني
ما الذي أجرمته ؟
لماذا تعاقبني بمسلك غيري
لماذا تريد أن تحبسني ؟!
لماذا جيوبك منتفخة ، وجيوبي منخرقة ؟!

طفلاي الصغيران
يعيشان ظلمك لي
طفلي الأصغر بحاجة إلى رعاية صحية خاصة
وكلانا في مكان بعيد مختلف
لأنك تلاحقني

وابنتي قالت: لن أذهب إلى المدرسة يا أبي
فلن أخلع حجابي
لماذا منعت حجابها ، وعن ابنتي منعتني

ذابت مشاعري في نفسي

لا تعجبْ ولا تتضايق
فكلانا في الذوبان سواء
أتعيشُ بالخوف
هل إذا أردتَ أن تتكلم في القهوة
تلفتَّ يمينا وشمالا ؟
متسائلا بخوف : هل أحد غريب في القهوة يسمعني !
أعاتبك: لماذا تكلمتَ ؟
أجبتني: لم استطعْ الصمت
إنه فوق طاقتي

ذابت مشاعري في نفسي

حممُ البركان تحبو في صدري
لهيبا يجري ، ويحرقُ قلبي
وعليَّ الصمت ،
حتى لو أحرقتَ لساني وقطعتَ يدي

قال نائب الوزير بمنصبه الجديد
نحن نعيش النور
نور رؤية الصين للعام تسعة وأربعين
٢٠٤٩ بالتاريخ الإفرنجي

نور الصين ظلام
سيحلُ على الأرض ظلامٌ جديد
كان الظلم شيوعيا ورأسماليا
وسيصير ظلما صينيا وثنيا شيوعيا رأسماليا
كل الشر اجتمع في ٢٠٤٩ الرؤيةِ
يطالبنا بألا نتدخل في شؤونه الداخلية وهو يعبثُ بأرضي !
كيف الحزب الشيوعي استعبد الصينيين !
بالاستبدادِ والكاميراتِ والنقطِ والخوفِ والذعرِ والسوطِ
ألا تدري كيف استعبدَ الحزب الظالم الأحمر الأيغوريين ؟!
كأية بلدٍ عربي وأفريقي وغربي . إنما التفاوتُ في الشكلِ

أأنت إنسان عربي أم شرقي أم شمالي غربي ؟
أنا إنسان في هذا العالم العصري
لا يفرق من أنت وما موقعك الجغرافي

سألني : وما شأنك بالصين وأنت إنسان عربي
أجبته: هذه مآساتي !
الصين ستجرفك وستجرفني
عبثوا اليوم في أثيوبيا وجيبوتي
سرقوا موانئَهم
بعد أن أعجزوهم عن دفع الدينِ
وعلى طرف رأس المندب السفلي، بنوا مصانعهم ،
وبنوا العسكرية قواعدهم

هذا هو الاستعمار الاقتصادي الجديد
احتلال اقتصادي
ثم احتلال جغرافي وأرضي
ثم عبث سياسي
ثم تصيير صينيا
فتنكسر
وإذا انكسرتَ من سيجبرك
رأس مالك يربح
وأنتَ من رأس مالي تفقرني

ذابت مشاعري في نفسي

إذا تكلمتَ ، أصمتوني
وإذا حذرتهم ، هددوني
ثم في نفسي سجنوني
وكيف أهربُ من الصوت الذي في داخلي يحذرني
لم أهدد صوتي الداخلي
استمعتُ له ، لم يقمعني بل أقنعني ؛ فوافقته
فأخبرتهم بما أخبرني صدري ؛ فاعتقلني

أعطى نائب الوزير للصيني اقتصادي وأرضي
ويحك !، سيتلفُ الصيني الأرض والبنتَ والولدِ
كما أتلفها الشرقي والغربي
عرفتَ الدرس
فلماذا نتصرفُ كالغبي

غني باعني وهو المشتري
عجبا
أأنا غسيلُ أموال ، أم ضريبةُ أموالٍ
هربَ بي واستغلني
متسائلُ بحسرةٍ : كم كان ثمني ؟!

عيناي ملأى
لستم بعيني كما يقول اللبناني
كل أموالكم ودنياكم لا تسوى عندي
نافلة الفجر بركعتينِ

يا نائب الوزير
فِرحٌ بيختك
ستون قدما ، عشرون مترا
وماذا يعني ؟!
أمستوى عقلك :
أن ترفعَ حبة رمل من كثبان الرمل
ما أنت وقصرك ويختك
إلا كحبة رملٍ
كلا لا شيء من دنياك هذه في عيني
يختك في البحر ولا حتى قطرة بحرٍ ؟!
هذا مبلغ عقلك ، لكنه بالتأكيد ليس عقلي

سرقتَ ورشوتَ وخدعتَ وغششتَ
خاتمك ألماس
وهذا أعلى فخرك
أفي قصرك لوحة قيمتها مليارا
أبلاطُ مسبحَ القصر، زمردا وذهبا وياقوتا
هذا مستوى عقلك ، وما أتعسكَ بعقلك

ماذا أكلت اليوم
أكافيارا ؟
بلغت الثمانينَ ، وتريد بالكفيار على فراش اليختِ أن تصير عشرينا

يا نائب الوزير
لِمَ بعتنا برخصٍ
لم بعتنا للغشاشين والمرتشين وعراة البكيني
كانوا بالأمس يستحون قليلا بالبكيني
واليوم ، عبثُ المرأةُ بنفسها ، وعبَثُ الرجل بها ، وعبثكم كلكم؛ يبكيني

ذابت مشاعري في نفسي

من دورانٍ إلى دوران
ومن تيهٍ إلى تيهٍ ، ومن ظلامٍ إلى ظلام أظلم
الأصحابُ كثر
ومنهم : صاحبٌ أعمى وصاحب مطاوع
إن قالا : لا ؛ أخفيتهم وقطعتَ لسانهم
وصاحبك الثالث : عنادك حتى لو كان إلى الهاوية مآلك
بصيرة أعشى في ظلامٍ ، ويقودك إلى هاوية
ويهلكك إذا لم تدُرْ معه في الساقية ،
يوردنا الماء ، ونرجعُ عطشى ، وشفاهنا يابسة

أرأيت كيف ذابت نفسي
وذابت في نفسي مشاعرِي
رئيس الأركان ونائب رئيس الوزراء يصافحان ولدك
وقلبهما ينظر إليك سائلا : أرضيتَ عني ؟
راجيان: فاشملني في ريْع الصفقةِ
وارمِ لي : ولو قطعةً من القطعة

والجندي الذي لا شريط على ذراعيه
يدعسُ ولدي
وينظرُ إلي سائلا : هل أغضبتك ؟!
هل قهرتك ؟
راجيا: ليتني أحرقتَ قلبك

ألم ترى الفرق بين الحالتين ؟!
ليس الفرق هو بين عينيَ وعينيك
إنما الفرق : من الذي على الكرسي
هذا مستوى فريق الأركان ونائب الوزير والجندي
هذا مستوى العقل البشري
فكيف خدعك الكرسي ؟!

إن عشتَ زمنَ النصر
فاعتبرْ وتواضع واشكر ،
وكنْ على العهدِ الأولِ
زمن الباز والعثيمين والألباني والأزهرَ والجنةِ

وإن عشتَ زمن الهزيمة كزمني
فعليك بدربِ أبي بكر وعمرَ رضي الله عنهم ولمن سلكَ دربهم
وأما لغيرهِم ، فارْمِ

فاستقمْ واستمسك بالإسلام
وانسَ الكرسي
واحفظ لسانك ،
ولا تحزنْ
واصبرْ ؛
فالأمرُ كله لله عزَّ وجلَ ربِّي

نعم ، ستحترقُ يديكَ وستتألم
وتتقرح ؛ إذا قبضتَ ،
قبضَ الجمرِ

أما إذا تلونتَ
ونافقتَ
فَلِمَا قرأتَ
لم تعِ ؟!

____

انتهى